مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيْمِ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ

الإِنْسَانُ وَالمُجْتَمَعُ فِيْ رِسَالَةِ الحُقُوْقِ لِلْإِمَامْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام
دِرَاسَةٌ فِيْ مُسْتَوَيَاْتِ التَّرْكِيْبِ

نورهان قاسم غدّار [١]
١ الجامعة اللُّبنانيَّة / كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، لبنان؛
nourhanghaddar66@outlook.com
ماجستير في اللغة العربية / مدرس مساعد

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/٢/٢٣	٢٠٢٤/٥/١٤	٢٠٢٤/٦/٣٠

المجلـــد (١٨) العـــدد (٣٠)
ذو الحجة ١٤٤٥هـ . حزيران ٢٠٢٤م

DOI:
10.55568/t.v18i30.43-56

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يجد المتعمّق في دراسة نصّ رسالة الحقوق صورةً للإنسان والمجتمع كما يريدهما المشروع الإسلاميّ الذي يهدف لبناء الأسرة والمجتمع والدّولة. حيث ينطلق من الإنسان بوصفه جوهر المجتمع إذ تعمل الرّسالة على إصلاح هذا الإنسان في علاقاته مع ربِّه ونفسه، ومن ثُمّ تتشعَّب العلاقات فيعمل النّصّ على إصلاح علاقات الإنسان بالآخر سواء أكان أخًا في الدّين أم من أهل الذّمَّة، أم سلطانًا أم جارًا، أم أحد أفراد الأسرة. فالإسلام يهدف لتنظيم العلاقات كلّها ليصل إلى مجتمع يسوده الخير، المحبّة، والسّلام، حيث يعرف كلّ مسلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه كلّ ما حوله ومن يحيط به حتّى حواسّه، إذ لا تجد الفوضى والعبثيَّة مكانًا في المجتمع الإسلاميّ. وقد اعتمدت هذه الدّراسة المنهج اللُّغويّ الألسنيّ البنيويّ الذي يكتفي بتحليل البنية اللُّغويَّة الدّاخليَّة للنَّصِّ من أجل استخلاص هذه الصّور وتقديمها للقارئ.

الكلمات المفتاحيَّة: رسالة الحقوق، الإنسان، المجتمع

Man and Society in Treatise on Rights by Imam Ali bin Al-Hussein (Study on Structure Levels)

Nourhan Qasim Ghaddar [1]

1 Lebanese University / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic, Lebanon;
nourhanghaddar66@outlook.com
MA. of Arabic Language / Assistant Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
23/2/2024	14/5/2024	30/6/2024

DOI: 10.55568/t.v18i30.43-56

Volume (**18**) Dhu al-Hijjah 1445 AH.
Issue (**30**) June 2024

CC BY NC

Abstract:

A thorough examination of the text of 'Risalat al-Huquq' (lit. 'treatise of rights') by Imam EsSajjad (p.b.u.h.) reveals a portrayal of individual and society as envisioned by the Islamic project, which aims to construct family, community, and nation. It begins with individuals as the core of society, as the message strives to rectify individual's relationships with their Creator and themselves. From there, these relationships expand, and the text works towards rectifying the individual's relationships with others, be they fellow believers, people of different faiths, rulers, neighbors, or even family members. Islam aims to regulate all relationships to achieve a society governed by goodness, love, and peace, where every Muslim knows their rights and obligations towards everything and everyone around them, even their senses. Chaos and absurdity have no place in Islamic society. This study adopts the structural linguistic approach, which is limited to analyzing the internal linguistic structure of the text to extract these images and present them to the reader.

Keywords: Treatise of Rights, Human Being, Community

المقدِّمة

يعالج هذا البحث البنية اللُّغويَّة على مستوى المعجم والتّركيب والدّلالة للحقوق لتوضيح صورة الإنسان والمجتمع التي من المفترض أن تسود في المجتمع الإسلاميّ. فإنسان الرّسالة في المقام الأوّل هو الإمام زين العابدين ﷺ الذي ألّف هذه النّصوص والتزم في حياته العمليَّة بتطبيقها، ثُمَّ هو المسلم المدعوّ ليتحلّى بأخلاق وشمائل إنسان الرّسالة، فالتّحليل اللُّغويُّ ينطلق للبحث عن صورة "المسلم الإيجابيّ في عقديته والإيجابيّ في دعوته، المهتمُّ بأمور المسلمين وشؤونهم، الذي يسعى جاهدًا لتغيير كلِّ واقع لا يخضع لحكم الله ولا يدين بدين الحقّ، وهو الذي يتمكَّن من تغيير نفوس الآخرين الذين رضوا بالحياة الدّنيا عن الآخرة فنسوا أنفسهم وضيعوا فرائض الله."[١]، وقد يلمس القارئ تداخلًا في المستويات اللُّغويَّة المدروسة فهي "لا تنفصل بل تتداخل إلى حدٍّ بعيد والفصل الذي يقوم به الدّارسون إنَّما هو لأغراض بحثيَّة إجرائيَّة تتعلَّق بعمليَّة التّحليل اللِّسانيّ حيث يستعين الباحث أثناء دراسته لمستوى معيَّن بمعطيات لغويَّة من مستوى آخر للوصول إلى التّحليل الأمثل للنَّصِّ اللُّغويّ"[٢].

ب- المستوى المعجميّ:

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ"اللُّغة هي طريقة الإنسان في استيلائه على العالم فهي تحمل صبغته وتنقل إلى الأشياء عالمه، واللُّغة هي انعكاس العالم على وعي الإنسان."[٣]، ولغة الرّسالة تبيِّن صورة إنسان الرّسالة أي الإمام في المقام الأوَّل وما ينبغي أن يكون عليه المسلم في حياته. إذ إنَّ الإنسان مسؤول عن كلِّ عضوٍ من جسده وحقّ العضو عليه صيانته وعدم إخراجه عن حدود الله. فهذا ما ورد في حقِّ النّفس الذي استهلّ أيضًا بـــ أمّا للتفصيل وقد جاءت عبارة (تستوفيها حقَّها في طاعة الله)[٤]، ومعجميًّا استوفى من الفعل وفى، ويقال "وفى فلانٌ حقَّ فلان أي أعطاه إيَّاه كاملًا تامًّا"[٥]. وقد استعمل الإمام ﷺ هذا الفعل بالتّحديد هنا للدلالة على أنَّ إنسان الرّسالة يجب أن يعطي نفسه حقَّها الكامل وهذا الحقُّ هو الطّاعة لله، ويكون ذلك من خلال

١ شريف، ناديا العمري .أضواء على الثّقافة الإسلاميّة (بيروت: مؤسسة الرّسالة، ٢٠٠٤)، ٣٦.
٢ هويدي، خالد . التّفكير الدّلاليّ في الدّرس اللسانيّ العربيّ الحديث (بيروت: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ٢٠١٢)، ٤٥_ ٤٦.
٣ مصطفى ناصيف، اللّغة والتّفسير والتّواصل (الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥)، ١٦٤.
٤ رسالة الحقوق، حق النّفس.
٥ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤ (مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤).

تأدية حقوق الجوارح والأعضاء حيث قال (فتؤدِّي إلى لسانك حقَّه)[٦]، والفعل تؤدِّي من أدَّى وعندما يتعدَّى بحرف الجرِّ (إلى) يقصد به إيفاء الحقِّ، ويقصد به هنا إيفاء حقَّ اللِّسان، البطن، اليد... لأنَّ المعصية المتمثِّلة بحرمان هذه الأعضاء من حقوقها وخرقها لحدود الله هي ظلم لها. فالله جعل للإنسان السّمع والبصر واللِّسان وكلَّ الأعضاء والحواسّ، ليسهّل معيشته على الأرض، وحقّ هذه الأعضاء في المقابل صونها عن الحرام. وقد ختم هذا الحقّ بقوله (وتستعين بالله على ذلك)[٧]، والقيمة المعجميَّة لهذه العبارة كبيرة، فَفِعْلُ الإعانة لا يأتي عندما يستطيع الفرد فعل الأمر وحده فقوله واستعن بالله دليل على أنَّ صون النّفس والأعضاء ليس بالأمر السّهل وسط زخارف الدّنيا والإغراءات المحيطة بالإنسان التي تزيّن له الحرام والمعصية والانغماس في اللَّذَّات المادِّيَّة، وهذا ما يعرف بجهاد النّفس.

اللِّسان من الفعل الثلاثيّ "لَسَنَ وهو جارحة الكلام"[٨]، وآلة التّواصل ولولاه لما استطاع الإنسان التّفاهم مع بني جنسه، وحقّه كما ورد في الرّسالة "إكرامه عن الخنى"[٩]، وهنا يأتي فعل الإكرام من خلال إبعاد اللّسان من التَّلفُّظ بالفحش وتربيته على الخير والأدب، وعدم الخوض في اللَّغو واستعماله فيما ينفع في الدّين والدّنيا، فلا يستغيبُ ولا يشتمُ ولا يخوضُ في أعراض النّاس. على أنَّ أهمَّ حقوقه "إجمامه إلَّا لوضع الحاجة والمنفعة في الدّين والدّنيا"[١٠] ولفظة إجمامه تعني إراحته إذ إنَّ الثرثرة والكلام الفارغ ليست من صفات إنسان الرّسالة. ويرتبط باللّسان مباشرة السّمع لأنَّ المرسلة الصوتيَّة تتلقَّفها الأذن وتحدث أثرًا لدى المتلقِّي. من هنا يأتي حقُّ السّمع علينا (تنزيهه) "ومعنى ذلك عن الحرام تقديسه وتطهيره"[١١] ولكن تنزيهه عن ماذا؟ "عن أن تجعله طريقًا إلى قلبك إلَّا لفوهة كريمة"[١٢]، ويقصد هنا النّزاهة بمعنى أن لا تجعله طريقًا إلى قلبك فلا تتأثَّر بما تسمع من النّاس من لغو وكلام فاسد، ثُمَّ أورد الاستثناء بـــ إلَّا ليحصر ما يجب أن تتأثَّر به من كلام وهو الكلام الحسن، ذلك

٦ رسالة الحقوق، حقّ النّفس.
٧ رسالة الحقوق، حقّ النّفس.
٨ ابن منظور، لسان العرب (دمشق: دار النّوادر للنشر والتّوزيع، ٢٠١٢)، ٣٨٥.
٩ رسالة الحقوق، حقّ اللّسان.
١٠ رسالة الحقوق، حقّ اللّسان.
١١ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
١٢ رسالة الحقوق، حقّ السّمع.

لأنَّ السّمع "باب الكلام إلى القلب"[١٣] كما عبَّر الإمام وقد أورد هذا التشبيه للدلالة على شدّة تأثُّر المتكلِّم بما يسمع، "وهو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد إشراكهما في صفة أو أكثر"[١٤]، فالواضح هنا أنَّ السّمع هو مدخل الكلام إلى القلب، وقد قال القلب هنا لأنَّه هو الذي يتأثَّر بالكلام ويولِّد ردَّة فعل ميكانيكيَّة، فإذا استمع الإنسان إلى النّميمة طوال الوقت يصبح نمَّامًا. والبصر له حقّ أيضًا على الإنسان وهو "غضَّه عمَّا لا يحلّ له"[١٥] بمعنى خفضه[١٦]، وهذه اللَّفظة تدلُّ على وجوب إنزال البصر وليس هذا فحسب بل عليه عدم احتقار البصر والنزول به لمشاهدة المشاهد القاسية والسّيئة، لكنَّه عاد وأورد استثناءً بـــ إلّا ليحصر ذلك بالمشاهدة للتّعلُّم، حيث استعمل التّشبيه فإنَّ البصر باب الاعتبار مؤكَّدًا بـــ إنَّ ليؤكِّد أنَّ المشاهدة بالعين تجعل الإنسان يعتبر، أي يأخذ العبرة وهذه المشاهدة وإن كانت سيئة بَيْدَ أنَّها تعطي درسًا للإنسان. ولعلَّ من أبرز النّعم التي لا يلحظها الإنسان: رجليه اللَّتَين تنقلانه من مكانٍ إلى آخر، ولهما حقّ عليه أيضًا. فقد ورد في الرّسالة "أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك"[١٧]، وفي دراسة عميقة لهذا التّركيب نجد أنَّ ما جاء بعد حرف الجرّ (إلى) ليس مكانًا محدَّدًا كما جرت العادة في استعمال (من-إلى) في التّركيب اللُّغويِّ بل جاء بعدها (ما لا يحلّ لك) وهو تركيب عامّ يعدُّ قرينة تدلُّ على كلِّ ما لا يحلّ للمسلم ارتكابه من أفعال مثل السّرقة، الزّنا، مجالس الخمر، مجالس القمار، القتل... والتّقدير هنا (أن لا تمشي بهما إلى السّرقة مثلًا) ويمكن أن يكتسب هذا التّركيب دلالة المكانيَّة أيضًا ويكون التّقدير في هذه الحالة (أن لا تمشي بهما إلى أرضٍ ليست لك أو منزل ليس لك أو أيّ مكانٍ آخر لا يحلّ لك دخوله).

أ- المستوى النَّحويُّ:

لابُدَّ للإنسان مهما استغرق بخطاياه وذنوبه أن يعود لاحقًا "ويتفكَّر في حالته الشعوريَّة، وأبعاد العلاقة بينه وبين الذات الإلهيَّة التي أدخلها قمقمًا باردًا بعد إسرافه في الحضارة"[١٨]،

١٣ رسالة الحقوق، حقّ السّمع.
١٤ الموسى، أنور. نحو نظريّة سيكولوجيّة في دراسة علوم البلاغة العربيّة(بيروت: دار المواسم، ٢٠١٧)، ٣١.
١٥ رسالة الحقوق، حقّ البصر.
١٦ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
١٧ رسالة الحقوق، حقّ رجليك.
١٨ تور، أندريه. التّصوّف الإسلاميّ (ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٣)، ١٥١.

وقد استهلَّ الإمام ﷺ الرّسالة بحقّ الله على الإنسان لأنَّه لولا معرفة الله وعلاقة الإنسان به فلا وجود لكلّ القيم والحقوق والأنظمة التي نتكلَّم عليها الآن، فعلاقة الإنسان بالله تقع في قمَّة الهرم الكونيّ للعلاقات الرّوحيَّة لأنَّها المحور الذي تتفرَّع عنه باقي العلاقات. وفي البداية لابدَّ من ذكر وظيفة أمَّا الاستهلاليَّة التي يستهلّ بها الإمام ﷺ كلَّ الحقوق، وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، وقد جاءت لتفصيل الحقوق للدلالة على تفرّع هذه الحقوق كلّها عن أصلٍ واحد هو صورة الإنسان الكُلِّيَّة، فالتّركيبة اللُّغويَّة لنصوص الرّسالة تدلُّ على تفريع وتفصيل من خلال (أمَّا) وقد اقترنت (أمّا) في حقّ الله بحرف الفاء (فأمَّا حقّ الله)[١٩]، للتوكيد وتأكيد المعنى، كما واقترن جواب (أمّا) بالفاء (فأنَّك تعبده)[٢٠]، "وهذا يدلّ على الشّرطيَّة إذ عندما يتحقَّق معنى الشّرط عند استخدام أمَّا يقترن جوابها بالفاء وجوبًا"[٢١]، وهي جملة الشّرط الأولى في هذا الحقّ والشّرط هو العبادة. أمَّا معجميًّا فقال (حقّ الله الأكبر)[٢٢]، واستعمال لفظة أكبر هنا تشير إلى وجود حقوق أخرى لله على الإنسان وهي لا تعدّ كما نعلم، غير أنَّ أكبر حقوق الله تأكيد وحدانيَّته وفرادته من خلال عبادته والابتعاد من الشّرك والكفر. ثُمَّ ورد شرط ثانٍ في التّركيب مجدَّدًا حيث قال (فإذا فعلت ذلك بإخلاص)[٢٣]، وهنا فعل الشّرط الإتيان بالعبادة بإخلاص ونفهم ذلك من القيمة المعجميَّة لكلمة إخلاص والتي تنشأ دلالة هذا الشّرط، فالشّرط ليس مجرَّد العبادة بل أن تكون خالصة لله تعالى. ففعل العبادة يشتمل على غير وجه إذ "إنَّ لله عبادًا عبدوه رهبةً فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجّار وآخرين عبدوه شكرًا فتلك عبادة الأحرار"[٢٤]، عندها يأتي جواب الشّرط ليضمن الله تعالى حفظ الإنسان في الدّنيا والآخرة، وإبعاد الشرّ عنه، وحفظ ما يحبّ له جزاءً له على إخلاصه في عبادته.

١٩ رسالة الحقوق، حق الله.
٢٠ رسالة الحقوق، حق الله.
٢١ حامد، حامد .فتح الباب في النّحو والصّرف والإعراب (بيروت: دار المواسم، ٢٠٢٠)، ٦٦٦.
٢٢ رسالة الحقوق، حق الله.
٢٣ رسالة الحقوق، حق الله.
٢٤ ابن العماد، شذرات الذّهب (دار ابن كثير، ١٩٨٦)، ١٥٤.

ج-المستوى البلاغيّ:

شبّه الإمام ﷺ الرّجلين بالمطيَّة أي الرّاحلة أو الدّابَّة التي يتنقَّل عليها الإنسان، ولكنَّ أيَّ طريق يحذرنا الإمام من سلوكه هنا؟ قال "في الطّريق المستخفِّة بأهلها"[٢٥]، وقد استعار الإمام فعل الاستخفاف من الإنسان وأسنده للطريق للدلالة على سخف المسلك الذي يخوض فيه الإنسان حيث يذهب إلى المعصية برجليه. وفي الوقت نفسه يمكن أن تحمل الرّجلان الإنسان إلى طريق الطّاعة إن هو أراد المضي فيها، من هنا على الإنسان أن يكون واعيًا ويُعمِل عقله ويختار طريقه بناءً على تعاليم الإسلام حتَّى لا يذهب إلى الحرام متعمِّدًا فيظلم رجليه بذلك. وهذا مشابه لما جاء في حقِّ اليد أيضًا، فحقّ اليد "لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك"[٢٦]، والبسط من الفعل بسط بمعنى مدّ فإنسان الرّسالة لا يمدّ يده إلى ما ليس له به حقّ مهما كان: مال، مادّة، إنسان.. ونقصد بالإنسان هنا التّعدِّي باليد على إنسان أو مدّها للمس إنسان محرّم لمسه. فهذا يجعل يدك تنال عقابًا في الآخرة من الله ويفسد سمعتك في الدّنيا إذ يكثر النّاس الكلام عمَّا أتيت به من سرقة أو أيّ فعلٍ شائن. وفي مقابل البسط نجد القبض، إذ ورد هذا الطّباق "فالجمع بين الأضداد من أركان الجمال في الشّعر العربيّ والأدب"[٢٧]، وقد ورد هنا لتوضيح المعنى فالإنسان يجب أن يكون كريمًا على نفسه وعياله، ويؤدِّي حقوق الله في أمواله من خمس وزكاة وصدقة وغير ذلك. فثنائيَّة القبض والبسط جاءت هنا لتنظِّم حياة الإنسان المادِّيَّة فلا يبذّر أمواله بما لا طائل منه وفي المقابل لا يبخل على نفسه بالعيش الكريم ويؤدِّي ما فرض عليه من حقوق مادِّيَّة، فقد قال "توقِّرها بقبضها"[٢٨]، والوقار لفظ يدلّ على الرّزانة والحلم[٢٩]، وفي هذا التّركيب كناية نسبة حيث نفهم أنَّ إنسان الرّسالة الحكمة والرّزانة في يده من خلال تنظيمها لأمورها المادِّيَّة.

٢٥ رسالة الحقوق، حقّ رجليك.
٢٦ رسالة الحقوق، حقّ يدك.
٢٧ غريب، روز .تمهيد في النّقد الأدبيّ (بيروت: دار المكشوف، ١٩٩٩)، ١١٣.
٢٨ رسالة الحقوق، حقّ يدك.
٢٩ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.

البطن أيضًا له حقّ على الإنسان وهو أن "لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير منه"[٣٠]، وقد استعمل الإمام هذا التّشبيه لأنَّ البطن عضويًّا يتَّصل مباشرة بما يأكله ويشربه الإنسان، وما يجب أن يفعله إنسان الرّسالة الذي لا يبسط يده إلى مالٍ أو طعام ليس من حقِّه أن لا ينزل هذا الطّعام أو الشّراب إلى بطنه لأنَّ الحرام يوجب عقوبة الله للبطن. ثُمَّ يكمل الإمام ﷺ شارحًا مفسِّرًا عن الطّعام حيث يقول "أن تقتصد له في الحلال"[٣١]، فحتّى في الرّزق الحلال يجب أن لا يذهب الإنسان إلى الشّراهة بل أن يقتصد ومعنى الاقتصاد الصّرف أو الأكل بميزان ودقَّة[٣٢]، فإنسان الرّسالة يأكل لتقوية نفسه والقيام بالأعمال ذلك لأنَّ الشّبع حتَّى التّخمة يسبب الكسل والخنوع للإنسان، ونلحظ تكرار المصدر الميميّ: مكسلة-مثبطة-مقطعة-مسخفة-مجهلة، وقد كان يستطيع القول الرّي المنتهي بصاحبه إلى السّكر جهل وليس مجهلة، من هنا ندرك أنَّه أراد الدّلالة الصّرفيَّة للمصادر "بما تحمله من قوّة الدّلالة على الحدث وتأكيده"[٣٣]، فالمصدر الميميّ يؤدِّي المعنى الذي يؤدِّيه المصدر العام وهو الدّلالة على الحدث المجرّد، ويفوقه في أنَّ دلالته على الحدث أقوى من المصدر العام. وهكذا بعد أن أحاط الإمام بمجمل أعضاء وحواسّ الإنسان يأتي على العضو الأكثر إلحاحًا على الشّهوات والملذَّات وهو الفرج، وحقَّه على الإنسان حفظه من الحرام "والاستعانة عليه بغض البصر"[٣٤]، وهنا يربط بين البصر والشّهوة لَأنَّ البصر بابها وتكون التّقوى بإسقاط النّظر أوّلًا "وكثرة ذكر الموت والتّهديد"[٣٥]، ويقصد بذلك أنَّ الرّغبات المادِّيَّة كثيرًا ما تجتاح الإنسان فتغرَّه وتجرَّه إلى المعصية لذا يجب أن يذكِّر نفسه على الدّوام بالموت وبعقاب الله حتَّى لا يقع في المحظور؛ لأنَّ الزّنا وغيرها من المحرَّمات الجسديَّة تفضي إلى غضب الله وتسبِّب الفساد في الأسر والمجتمعات حيث تعمّ الرّذيلة وتقلّ الفضيلة.

٣٠ رسالة الحقوق، حق البطن.
٣١ رسالة الحقوق، حق البطن.
٣٢ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
٣٣ حسن، عباس. النّحو الوافي (القاهرة: دار المعارف بمصر، ٢٠١٨)، ٢٣١_ ٢٣٦.
٣٤ رسالة الحقوق، حقّ الفرج.
٣٥ رسالة الحقوق، حقّ الفرج.

تتَّصل أفعال الصّلاة والصّوم مباشرة بأداء الفرد الاجتماعيّ إذ يُسهم الصّوم مع الصّلاة في تهذيب النّفس البشريَّة وتبرِّز الصّدقة بوصفها مظهرًا من مظاهر التّكافل الاجتماعيّ. فإذا انتقلنا إلى حقِّ الصّلاة يقول الإمام إنَّها وِفادة إلى الله أي عودة إليه، ويكتسب اللَّفظ هنا دلالة خاصَّة بالرّسالة "فالمستوى الدّلاليّ يقوم على انتقال معاني الكلمات لتشتمل على معانٍ أبعد وأعمق."[٣٦]، فالعودة هنا جاءت بالمعنى الرّوحيّ لا بالمعنى المادِّيّ، تلا ذلك سيطرة الحقل الدّلاليّ المتعلِّق بالنّسك عند ذكر كيفيّة الإتيان بهذا الفعل ومن التّعابير المشكِّلة له: الرّاغب الرّاهب.. ويمثِّل فعل الصّلاة الذي يكون فيه الإنسان ساجدًا على أكثر نقطة منخفضة وهو يردِّد سبحان ربِّي الأعلى أي الذي علا علوَّ إقرار الفرد بعبوديّته، هذا الخضوع الذي ينعكس عزّة وكرامة في المجتمع حيث لا يتذلَّل المسلم لغير الله. فهذا الفعل أوّل الأفعال المذكورة وهو البداية لأنَّه يدرِّب المسلم على الاتِّصال بالله والطّلب منه ويمنحه قوَّة نفسيَّة يستغملها بدوره في فعل الصّوم، الذي عبّر عنه الإمام أنَّه "حجاب ضربه الله على السّمع والبصر..."[٣٧]، فالصّوم فعلٌ يصون جوارح المسلم عن المحرّمات والرّذيلة فهو ليس عمليَّة تجويع ماديَّة، فالعبرة في هذا الفعل عظيمة. وقد شبّه الإمام الصّوم بالحجاب للدلالة على ستر الأعضاء عن المحرَّمات، ثُمَّ أكَّد حرِّيَّة الإنسان حيث قال "فإن سكنت أطرافك في حجبتها"[٣٨]، مقابل طباق "إن تركتها تضطرب"[٣٩]، فالإنسان مخيّر منحه الله الحرِّيَّة التي صارت المسؤوليَّة مفهومًا ملازمًا لها، فكلُّ حرٍّ مسؤول بالضّرورة عن نتائج تصرُّفاته. من هنا جاء هذا الفعل ليدرِّب الإنسان على الجوع والإحساس بالفقراء أي لتحمُّل المسؤوليَّة الاجتماعيَّة التي تتبلور في فعل الصّدقة. وقد شبَّه الإمام الصّدقة بالذّخر للدلالة على أهمِّيَّتها ودورها الكبير في القضاء على آفة الفقر، وقد اشترط فيها أن تكون سرًّا لا علانية وألَّا تأتي مصحوبة بمنَّة، فالله رزق الغنيّ ليتصدَّق على الفقير ويكسب بذلك الجنَّة، أمَّا وإن جاءت الصّدقة بخلاف شروطها سبَّبت غضب الله وأوجبت العقوبة للعبد.

٣٦ Hock H.H and Joseph B.D.، Language History، Language Change، Language Relationship: An Introduction to Historical and Comparative Linguistics (Berlin: Mouton de Gruyter، 1996).

٣٧ رسالة الحقوق، حقّ الصّوم.

٣٨ رسالة الحقوق، حقّ الصّوم.

٣٩ رسالة الحقوق، حقّ الصّوم.

د- المستوى الدلاليّ:

فمن خلال هذا المستوى نلحظ الحقوق السّياسيَّة أو تحمُّل المسلم للمسؤوليَّة السّياسيَّة وعلاقتها بالعلم، إذ يمكن أن نستخرج من النّصوص الحقل الدّلاليّ المتعلِّق بمجتمع واعٍ ويكون ذلك من خلال اختيار أو انتخاب السّلطان أو الحاكم أو المسؤول كما يسمُّونه في الأنظمة الدّيمقراطيَّة اليوم، ليس عملًا عشوائيًّا. فإذا تقلَّد السّلطة من هو أهلٌ لها (يعني ذلك في النّظام الإسلاميّ الرّسول أو الأئمَّة) فواجب المسلم الإخلاص لا مماحكته أي مخالفته حيث قال "ولا تعانده فإنَّك إن فعلت عققته"[٤٠]، فالمجتمع بحاجة إلى قائد أهل للقيادة وتقع مسؤوليَّة اختيار الحاكم على المسلم الذي يجب أن يقترع اليوم ليضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، لا أن يوصل إلى الحكم المتجبِّر الفاسد الذي يحكم على رقاب الأمَّة. ويتَّصل حقل الوعي السّياسيّ للمسلم بحقل العلم والتّعلُّم بعلاقة سببيَّة فإذا تثقَّف المسلم عرف التّمييز بين المهالق وبين السّاعي للإصلاح ومن ثُمَّ عرف كيف يقترع خدمةً للمجتمع لا لأغراضه الشَّخصيَّة. من هنا يبرز حقّ المعلِّم حيث قال "التّعظيم له والإقبال عليه وحسن الاستماع.. وأن تفرغ له عقلك وتحضر فهمك وتذكي قلبك.."[٤١]، فالعلم النّافع هو الذي يوصل الإنسان إلى طريق الحقّ والإيمان بالله، وإنَّا في هذا السّياق نؤكِّد التّكامل بين العلم والدّين فهما عنصران يتكاملان لتكوين إنسان الرّسالة إذ لا يصحّ أن يكون المسلم جاهلًا. من هنا فإنَّ ما تُوهِمُنَا به الثّقافات الأخرى من مفهوم العلمانيَّة بأنَّه فصل الدّين عن الدّولة ورفع العلم كشعار معادٍ للدين فيه مغالطة كبيرة. "فلفظ علمانيَّة ترجمة خاطئة لكلمة Secularism بالإنجليزيَّة وهي كلمة لا صلة لها بالعلم ومشتقَّاته على الإطلاق."[٤٢]، فالعلمانيَّة هي حركة معادية للدين وتعني اللَّادينيَّة من خلال تكذيب كلِّ ما يذهب إليه الدّين وتصديق الحقائق المادِّيَّة الدُّنيويَّة المحسوسة فقط، وهي مفهوم منبثق من المادِّيَّة وقد جاء ردّ فعل على سيطرة رجال الدّين على أوروبا في العصور الوسطى، أمَّا نقلها إلى الشّعوب الإسلاميَّة اليوم فهو لإيهامها أنَّ الإسلام يقف في وجه العلم والتَّعلُّم وهذا

٤٠ رسالة الحقوق، حقّ السّلطان.
٤١ رسالة الحقوق، حقّ المعلّم.
٤٢ الدّين، أحمد سيف. الحضارة الحديثة في أوروبا (بيروت: دار نور الدّين للطباعة والنّشر، ٢٠٢٠)، ١١٠.

ادِّعاء باطل حيث قال تعالى ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة ١١) من هنا نرى أنَّه من واجب المسلم أن يكون متعلِّمًا يحترم معلِّمه لأنَّه وسيلة نقل العلم حيث ورد في نصّ حقِّ المعلِّم حقل دلاليّ يتَّصل بآداب التعلُّم فلِلمعلِّم حقّ شرعيّ هو التّقدير والتّوقير، زد على ذلك الإقبال على العلم بكُلِّيَّة الإنسان لينتفع بهذا العلم لا الحضور ماديًّا في الصَّفِّ وإشغال العقل بأشياء أخرى. والحال فهذه ظاهرة متفشيَّة في مجتمعاتنا ولا صلاح في هذه المجتمعات من دون الإيمان بقيمة العلم والمعلِّم، وأهمِّيَّة ذلك في الدّفاع عن الدِّين والحقّ وتكريس سلطة سياسيَّة عادلة في خدمة الشّعب. يتّصل بالعلم مباشرة حقُّ الرَّعيَّة أي حقُّ الشّعب، فكما للسُّلطان حقّ في الطّاعة والنّصح له، للرَّعيَّة حقوق أيضًا. فقد ورد في نصّ هذا الحقّ الطّباق (قوّة-ضعف) لتّوضيح ذلك، حيث ذهب الإمام إلى أنَّ الشّعب ولَّى الحاكم عليه فأصبح هذا الأخير صاحب القرار والمتحكِّم بمصير الأمَّة، من هنا وجب عليه التَّعامل معهم برحمة وأناة لا بقسوة وتجبُّر، فالله هو من منح هذه القوَّة للحاكم التي بموجبها صار متجبِّرًا فإذا خالف تعاليم الإسلام في معاملة الرَّعيَّة أوجب الله عليه العقاب الشّديد. ويشكِّل حقّ التّلميذ جزءًا من الحقل الدّلاليّ لبناء مجتمع متكامل ولتوضيح أهمِّيَّة دور المعلِّم قال الإمام "وإلَّا كنت له خائنًا ولخلقه ظالمًا"[٤٣]، فالإخلال بهذه الوظيفة يصل لحدّ وصفه بالخيانة لأنَّه يخون أمَّة أوْكلت إليه مهمَّة محاربة الجهل ورفعه عن أبنائها فيظلمهم بإبقائهم في الظّلمات.

المرأة في الإسلام فهي ليست كائنًا مستضعَفًا مسلوب الحقوق والميراث، تعامل معاملة الدّواب كما في بعض قبائل الجاهليَّة بل هي إنسان مكرَّم يمتلك كلَّ الحقوق الإنسانيَّة حيث عملت الرّسالة الإسلاميَّة على حمايتها إذ قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التّكوير ٨) إذ نرى الإسلام توسّع في منع إهانة وقتل النّساء ولو أردنا التّوسُّع في مسألة لحقوق المرأة لكتبنا دراسات حول ذلك... وبالعودة إلى حقّ الأمّ فهو أن يعلم الإنسان أنَّها "أطعمته من ثمرة قلبها"[٤٤]، وهذه العبارة كناية عن صفة هي الحنان وعظيم التَّضحية، فلا

٤٣ رسالة الحقوق، حقّ المتعلّم.
٤٤ رسالة الحقوق، حقّ الأمّ.

تضحيـة تبلـغ تضحيـة الأمّ وقـد بـرز ذلـك مـن خـلال الثُّنائيَّـات الضِّدِّيَّـة الـواردة في نـصِّ هـذا الحـقِّ (تشبع، تجوع، تكسو، تعرى، تروي، تظمأ، تتلذَّذ بالنّوم، أرَّقها) فكلُّ مفردات النّقص المذكـورة وغـير المذكـورة في النّصّ مـن جـوع، ظمـأ، عـري مفـردات مرتبطـة بمنـح الأمّ لـكلِّ مـا تملـك لأطفالها إذ تجـوع لتطعمهـم عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر. فهـذه التَّضحيـة اللَّامتناهيـة لا تـأتي إلَّا مـن الأُمّ؛ لـذا قـال الإمـام "فتشـكرها عـلى قـدر ذلـك ولا تقـدر عليـه"[٤٥]، مـن أسـلوب النّفـي هـذا نفهـم أنَّ الإنسـان مهـما فعـل لا يمكـن أن يـؤدِّي جـزءًا مـن حـقّ أمِّـه. فحتَّـى مـع بـرّ الوالديـن وطاعتهـما لا يكـون الإنسـان قـد أدَّى كامـل حقـوق الأُمّ عليـه. وبالانتقـال إلى حـقِّ الأبّ فهـو حـقٌّ مقـدَّس كحـقِّ الأمّ، وقـد اسـتعمل الإمـام تشـبيه الأصـل والفـرع ليوضِّـح المسـألة فـالأب هـو الأصـل والولـد هـو الفـرع النّاتـج عـن الأصـل ولـولاه لما وجـد الفـرع أصـلًا، مـن هنـا يجـب أن يفهـم الإنسـان أنَّـه مهـما بلـغ مـن علـوّ الشّـأن والمراتـب أنّ أبـاه أصـل النّعمـة عليـه حيـث قـال "لـولاه لم يكـن... أبـاك أصـل النّعمـة عليـك"[٤٦]، ولـولا حـرف امتنـاع لوجـود، فوجـود الفـرع يعنـي بالـضّرورة وجـود الأصـل وامتنـاع وجـوده يعنـي عـدم وجـود الفـرع، وأمـام عـدم وجـود الإنسـان تنعـدم كلّ إنجازاتـه، لـذا جـاء حـقّ الأبّ في الطّاعـة لشـكره عـلى وجـود الإنسـان في الحيـاة ناهيـك عـن تضحيـات الأبّ وعطائـه الـذي لا ينتهـي. وإذا كان للأهـل حقـوق فقـد أوجـب تعـالى حقوقًـا لـلأولاد عـلى الأهـل أيضًـا، فالتَّربيـة الإسـلاميَّة والمعاملـة الحسـنة واجـب الأهـل؛ لـذا قـال الإمـام "وأنَّـك مسـؤول عـمَّا ولّيتـه مـن حسـن الأدب والدّلالـة عـلى ربِّـه... فمُثـاب عـلى ذلـك ومعاقـب"[٤٧]، عـلى أنَّ أهـمَّ مـا قـد يربِّي الأهـل الأبنـاء عليـه هـو الحـبّ والرّحمـة فيما بينهـم من خلال الإنصـاف والعـدل حيـث ذهـب الإمـام إلى أنَّ هنـاك حقوقًـا للأخـوة والأخـوات عـلى بعضهـم البعـض فقـال في ذلـك "فتعلـم أنَّـه يـدك التـي تبسـطها وظهـرك.. وعـزُّك.. وقوَّتـك فـلا تتَّخـذه سـلاحًا لمعصيـة الله ولا عـدَّة للظلـم.."[٤٨]، وقـد شبَّه الإمـام الأخ باليـد والظّهـر للدلالـة عـلى لجـوء الإنسـان إليـه وقـت الحاجـة والضّعـف، فـالأخ الصّالـح يقـوّي الإنسـان ويدعمـه لـذا فمـن واجـب

٤٥ رسالة الحقوق، حقّ الأمّ.
٤٦ رسالة الحقوق، حقّ الأبّ.
٤٧ رسالة الحقوق، حقّ ولدك.
٤٨ رسالة الحقوق، حقّ الأخ.

الفرد احترام أخيه ومساعدته بلا منَّة فهو بمنزلة أعضاء الجسد أي جزء من كُلِّيَّة الإنسان، لا قطعه ومعاداته وسلب حقوقه في الميراث فالأخ يجب أن يكون عزًّا لأخيه لا مُذِلًّا له.

والحال فالرّابط الدّلاليّ لهذه المجموعة من الألفاظ: الزّوجة- الأمّ- الأب... "والتي تصنَّف تحت موضوع واحد مبدأ تنظيميّ مهم في بناء الحقول الدّلاليَّة ذلك لأنَّها تقوم على ديناميكيَّة داخليَّة تسمَّى المتضمِّن الأعلى"[٤٩]، والمتضمِّن الأعلى هنا هو طريقة التّعامل بين أفراد الأسرة، وألفاظ هذا الحقل أفرادها. إذ نجد الرّسالة تشتمل على حقول دلاليَّة صغيرة (عائلة- معلِّم متعلِّم..) مرتبطة بالحقل الدّلاليّ الرّئيس وهو حقل بناء مجتمع متكامل.

الخاتمة

لقد باتت المادِّيَّة في هذا العصر المرض الأصعب الذي تعاني منه النّفوس البشريَّة فحبّ المال والسّلطة جعل الإنسان يتجاهل التّنظيم الإسلاميّ للحياة الاجتماعيَّة والشّخصيَّة الفرديَّة والجماعيَّة، ويتعامل مع الإسلام على أنَّه طقوس عباديَّة لا علاقة لها بباقي نواحي الحياة. إذًا فرسالة الإصلاح الاجتماعيّ التي بدأها الإمام زين العابدين ﷺ وأكَّدها من خلال نصوص رسالة الحقوق لا تقتصر على زمنه فقط، بل تمتدّ ديناميكيَّة النَّصِّ لتشمل كلَّ ما تلاه وصولًا إلى عصرنا هذا الذي كثر فيه التّدين الظّاهريّ الذي لا يكفي لبناء مجتمع يسوده العدل والإخاء والمحبَّة، حيث لا نجد فقيرًا ولا ذليلًا ولا تسيطر ضروب الغشِّ والخداع... وهذا ليس شعرًا أو ضربًا من ضروب الخيال بل هو المجتمع الذي تطمح الرّسالة الإسلاميَّة لبنائه من خلال العمل على مشروعها: بناء إنسان واعٍ وحرّ. وهذا هو المجتمع الفاضل الذي سنصل إليه لو طبّقنا الجانب الاجتماعيّ-الاقتصاديّ من النَّظريَّة الإسلاميَّة بما يشتمل عليه من حقوق، واجبات، قوانين زواج، ميراث، احترام، وفاء.... فما يميّز الإسلام أنَّه أسلوب حياة وليس مجرَّد شعائر دينيَّة تمارس في أوقات محدَّدة، إذ لم يترك التّشريع الإسلاميّ جانبًا من جوانب الحياة إلَّا ونظَّمه بدءًا من علاقة الإنسان بنفسه وربِّه وصولًا إلى علاقته بأفراد المجتمع وقد عملنا على توضيح هذه العلاقات من خلال دراسات بعض النّواحي اللُّغويّة لنصِّ الرّسالة.

٤٩ نهر، هادي. علم الدّلالة التّطبيقيّ في التّراث العربي (الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١)، ٤٦٦.

المصادر:

القرآن الكريم

ابن العماد. شذرات الذّهب. دار ابن كثير، ١٩٨٦.

ابن منظور. لسان العرب. دمشق: دار النّوادر للنشر والتّوزيع، ٢٠١٢.

العمري شريف، ناديا. أضواء على الثّقافة الإسلاميّة. بيروت: مؤسسة الرّسالة، ٢٠٠٤.

الموسى، أنور. نحو نظريّة سيكولوجيّة في دراسة علوم البلاغة العربيّة. بيروت: دار المواسم، ٢٠١٧.

تور، أندريه. التّصوّف الإسلاميّ. ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٣.

حامد، حامد. فتح الباب في النّحو والصّرف والإعراب. بيروت: دار المواسم، ٢٠٢٠.

حسن، عباس. النّحو الوافي. القاهرة: دار المعارف بمصر، ٢٠١٨.

رسالة الحقوق.

سيف الدّين، أحمد. الحضارة الحديثة في أوروبا. بيرروت: دار نور الدّين للطباعة والنّشر، ٢٠٢٠.

غريب، روز. تمهيد في النّقد الأدبيّ. بيروت: دار المكشوف، ١٩٩٩.

مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط٤. مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.

ناصيف، مصطفى. اللّغة والتّفسير والتّواصل. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥.

نهر، هادي. علم الدّلالة التّطبيقيّ في التّراث العربي. الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١.

هويدي، خالد. التّفكير الدّلاليّ في الدّرس اللسانيّ العربيّ الحديث. بيروت: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ٢٠١٢.

Hock، H.H، and B.D. Joseph.Language History, Language Change, Language Relationship: An Introduction to Historical and Comparative Linguistics. Berlin: Mouton de Gruyter، 1996.